المقال التاسع عشر

مقتطفات مـــن المناظرة

بين باكوف هرتزوج سفير إسرائيل فى كندا ورئيس دولة إسرائيل الأسبق .

والأستاذ أرنولد توينبى المؤرخ البريطانى المشهور

حول العلاقات العربية الإسرائيلية ،

وسياسات إسرائيل بالنسبة للاجئين العرب

التى دارت فى مونتريال / كندا بتاريخ ٣١ يناير ١٩٦١

حول وعد بلفور والوطن القومى لليهود الفقرة الأولى تصريح بلفور تنص على أن بريطانيا تتعهد بتأييد أو اقامة ، أو شىء من هذا القبيل ، وطن قومى لليهود فى فلسطين . أما الفقرة الثانية فتنص على أن لا يتخذ أى إجراء من شأنه المساس بمصالح سكان البلد الذين كان العرب يؤلفون منه اذ ذاك ـ أى وقت صدور التصريح فى عام ١٩١٧ ، ٩٠ فى المائة ـ وأنا أوجه اللوم إلى تصريح بلفور ، لأن كلمة « وطن » قد أتت

على نحو غامض . ولكن الأمر أوضح غاية الوضوح كما أعلم بصورة مباشرة من الاطلاع على الوثائق التى صدرت ذلك الحين باعتبارى موظفا مؤقتا فى وزارة الخارجية البريطانية . لقد أوضح غاية الوضوح ، وبصورة قبلها دكتور وايزمان اذ ذاك ، أن «وطن» لا تعنى « دولة » ذاك لأنه لو كان هذا كذلك ـ أى كان لفظ وطن يعنى «دولة» ـ لكانت الفقرة الأولى من تصريح بلفور تناقض الفقرة الثانية منه . هذه الفقرة الثانية التزام لا يقل إيجابا وحجية بالنسبة للحكومة البريطانية التى أصدرت التصريح وهو يفرض عليه أن لا يقع أى حيف بحقوق ومصالح السكان الحاليين فى البلاد . وأعتقد ـ كما أظن أن كل إنسان يشاركنى هذا الاعتقاد ـ أن لليهود حق المطالبة بوطن قومى ولكنى أعتقد كذلك أن الوطن القومى لا يمكن أن يصبح دولة دون المساس بحقوق السكان الأصليين للبلاد وهو مساس شاهدنا أثره فى التسعمائة ألف لاجىء فلسطينى . ولعل الوطن القومى كان يمكن أن يأخذ صورة دولة فلسطينية تضم اليهود والعرب على قدم المساواة . وقد يقال أن هذه امكانية نظرية وانه فى اللحظة التى فتحت فيها أبواب البلاد للهجرة اليهودية بشروط لم تكن صادرة عن سكان البلاد أنفسهم . ولكن صادرة عن الحكومة البريطانية ، فقد كان لابد للأمور أن تخرج عن الطريق المرسوم لها .

ولا شك فى أن جميع الأنظمة والشعوب التى عاشت فى فلسطين منذ ١٣٥ بعد الميلاد قد سمحت لليهود بالعيش فى فلسطين واعترفت لهم بحقوقهم . وقد كان يعيش فى القدس دائما جماعة من أتقياء اليهود يدرسون الشريعة . وكان النظام التركى يمسح بهذا . وأشك فى أن

الصليبيين كانا يسمحون به . ولعل الدولة الوحيدة التى أنكرت على اليهود هذا الحق هى دولة الصليبيين .

وفكرة الوطن القومى هى توسيع لهذا الوضع . لقيام ٥٠,٠٠٠ يهودى بدراسة الشريعة فى القدس و ١٢,٠٠٠ يهودى يعملون فى المزارع كما كان الحال سنة ١٩١٧ . كانت هذه هى الصبغة القديمة للوطن القومى اليهودى ، وقد استهدفت الحركة الصهيونية التى كان يتزعمها دكتور وايزمان والحكومة البريطانية التى كان يرأسها مستر بلفور توسيع قاعدة هذا الوطن اليهودى القومى واسباغ مظهر حديث عليه وذلك بالسمح بهجرة أوسع ، وأن يخول اليهود الحق وتيسر لهم السبل للاستقرار، فى أعداد محدودة ، فى فلسطين ـ أعداد محدودة بالنظر لالتزام بريطانيا بعدم الإضرار بمصالح سكان فلسطين إذ ذاك .

إنى أوجه اللوم لوعد بلفور فى هذا المعنى ، وأعتقد أن محامياً يستطيع أن يثبت تناقض الالتزامين اللذين يتضمنهما . و على كل حال فقد يبدو هذا حكمة متأخرة . ولعلنا لا نستطيع أن نوجه كثيرا من اللوم إلى الحكومة البريطانية ذاك الحين لأنها لم تتوقع اذ ذاك أن المجتمعين ـ العرب واليهود ـ سيفسران التصريح بصورة متناقضة . ولقد وضعت فلسطين فى مرتبة «أ» بقصد إعدادها للحكم الذاتى والاستقلال التام . وقد فسر العرب باعتبارهم يكونون ٩٠ فى المائة من سكان البلاد بأن استقلال فلسطين معناه أن تصبح دولة عربية .

حق اليهود فى فلسطين

بروفسور توينبى

لقد أثار السفير نقطة تتعلق بحق اليهود فى فلسطين ، ان العجيب فى أمر اليهود هو أنهم لم تنطمس فى ذاكرتهم قط ذكرى موطنهم . ولقد كانوا فى هذا أمرا شاذا بين الشعوب التى انتزعت من أرضها ونقلت إلى بلادهم على يد البابليين فى القرنين الثامن والسادس قبل الميلاد . وبينما فقد يهود دولة اسرائيل القديمة وجودهم وكيانهم بعد السبى فان دولة يهوذا ظلت طوال سنين السبى وهى محتفظة بكيانها المستقل . وكما نعم جميعا اندثرت الأسباط العشرة . ودولة اسرائيل القديمة تمثل اليوم ببضع مئات من السامريين بعضهم فى الأردن وبعضهم الآخر فى دولة اسرائيل الحالية . بينما الشعوب الأخرى التى كانت معاصرة لدولة يهوذا اسرائيل القديمة اندثرت تماما فى الوقت الذى ظل فيه اليهود محافظين على وجودهم المتميز. وقد تم هذا عن طريق تعلقهم بذكرى فلسطين .

لقد قلت منذ لحظات أنى أعتقد أن يهود اليوم والغد سيكوّنون اللاجئين الفلسطينيين العرب ذاك أنهم يعانون نفس الحالة الذهنية التى عاناها اليهود بعد سبى بنوخذ نصر لهم مباشرة . إن لفلسطين سحراً خاصاً يستهوى عقول الناس ، اذا عاشا فيها .

ولكن الآن ماذا عن هذا المطلب اليهودى ؟ هناك شىء فى القانون ، بل أعتقد فى كل أشكال القانون ، يقول بسقوط الحق نتيجة التقادم ، فاذا أخذنا مثلا عام ١٣٥ الميلادى باعتباره التاريخ الذى قام فيه الرومان

بطرد الجانب الأكبر من سكان فلسطين اليهود ـ فاذا أخذنا هذا التاريخ وقلنا أن سقوط الحق لا ينطبق حتى على هؤلاء الذين غادروا البلاد فى ذلك التاريخ ، ماذا يحدث بالنسبة لمدينة كمونتريال ؟ لقد كان هنود لالجونكوين يسكنونها منذ ثلاثمائة أو أربعمائة سنة على الأكثر . فهل يقال كذلك بضرورة عودة مونتريال إليهم ؟ وبعودة إنجلترا لأهل ويلز ؟

مستر هرتزوج :

نعم .

بروفسور توينبى :

أحقا ؟ إذن فعليك أن ترحِّل خمسين مليونا من الإنجليز وتجعل منهم لاجئين .

لقد فسر بعض اليهود الوطن القومى باعتباره منتصف الطريق نحو الدولة اليهودية ، وأخشى أن أقول أن بعضهم كان يردد « حتى لو أن هذا لم يرده البريطانيون ، فسنستخدمه كذريعة للحصول على دولة يهودية فى النهاية . وهذا أمر بشرى ولا أستطيع أن أكثر من اللوم فى هذا الصدد . وأعتقد شخصيا أن وعد بلفور كان على حق حينما أقام هذه الحدود . وقد تشبهونها برطل اللحم ونقطة الدم فى رواية تاجر البندقية . فما دام التصيح قد نص على عدم المساس بمصالح السكان غير اليهود البالغ عددهم ٩٠ فى المائة بمعنى هذا أنه لا يمكن قطعا أن يقوم وطن قوعى فى المعنى السياسى بل على أن يقام هذا على الأكثر فى المعنى الثقافى . اعتقد أن هذه هى الشروط التى قبلتها المنظمة الصيونية ذاك الحين والتى

وضعتها الحكومة البريطانية والتى منحت بها اليهود أمرا قريبا إلى نفوسهم . ولقد ضمن التصريح كتابة حقق سكان البلاد إذ ذاك ، وهو أمر كانت تلزم به جميع مقتضيات القانون والأخلاقيات .

حق عودة اللاجئين

بروفسور توينبى :

إذا سمح لى بأن أعالج هذه النقطة الأخيرة . إن مقاطعات كندا تمتد لمساحات أشد سعة من الدول العربية الثمانى ، بل إنها لتمتد من المحيط إلى المحيط . وعلى هذا فيجب ، استنادا إلى حجة السيد السفير ، أن لا ترفض كندا إعادة مونتريال إلى قبائل الجونكوين القديمة التعسة . والقول بأن العرب غير الفلسطينيين قد أحرزوا الاستقلال لا يجب أن ينهض مبدأ لاحالة السكان السابقين لما يسمى اليوم بإسرائيل إلى لاجئين وأغراب عن ديارهم كما هو شأنهم اليوم . وبالنسبة لتصريح بلفور أحب أن أقرر بلا لبس ولا إبهام أنى أعلم أنه كان مفهوما بصورة واضحة أن الوطن القومى لا يراد به الدولة القومية اليهودية . ولقد أبلغت الحكومة البريطانية هذا بصورة واضحة للمنظمة الصهيونية عند صدور التصريح ، وقد قبلت المنظمة التصريح على هذا الأساس . وسلمت عصبة الأمم الانتداب على فلسطين لبريطانيا فى نطاق هذا المفهوم وهذه الشروط .

اعتقد أن هناك نقطتين فيما أدلى به السفير الآن . الأولى عودة اللاجئين إلى ديارهم . والثانية استخدام اللاجئين كسلاح سياسى .

وأعتقد أن هناك تناقضا فى الموقف الإسرائيلى ... فأنتم تطالبون بعودة اليهود إلى فلسطين ، رغم أنهم تركوها منذ عام ١٣٥ ميلادية ولم يكن فى بفلسطين قط كتلة ملحوظة من السكان اليهود . وإنْ كنت أوافق السفير أن قلة من اليهود عاشت بصورة مستمرة فى فلسطين . وهى أقلية قليلة . ومنذ عام ٦٤ قبل الميلاد لم تقم دولة يهودية فى فلسطين . لقد ادعيتم الحق فى العودة ، لا كما نص وعد بلفور فى صورة وطن قومى، ولكن فى الصورة المتطرفة للدولة . ولكنكم تنكرون فى نفس الوقت على العرب الذين أرغموا على مغادرة فلسطين ، الجزء الإسرائيلى فى فلسطين ، عام ١٩٤٨ ، تنكرون عليهم ما يعتبر الحجة الأساسية التى يستند إليها الشعب اليهودى . هذا موقف متناقض ، عليكم أن تتأملوه ... ثم نقطة استخدام اللاجئين كسلاح سياسى ، لقد أتيحت لى فرصة تجاذب أطراف الحديث مع ممثلى الدول العربية خلال السنوات القليلة الماضية ـ وأعتقد أن المنظمة الصهيونية وحكومة اسرائيل تعيشان فى بيت زجاجى بالنسبة لموضوع استخدام اللاجئين كسلاح سياسى . ذلك أنى أرى شبها بليغا بين استخدامهما اللاجئين اليهود كسلاح سياسى ، وما ينسبونه للعرب فى هذا المجال . وقد حدث الكثير ، وخاصة بعد الحرب العالمية الثانية، مما يوضح كيف وجهت الصهيونية اللاجئين اليهود إلى فلسطين ، استغلالا لمحنتهم فى سبيل توطيد السياسة الصهيونية ، بدلا من إقرارهم فى أستراليا أو أمريكا الشمالية ، حيث كان ينتظرهم المأوى والمستقبل .